الفصل الثاني

لماذا الهروب ؟ ولماذا مصر ؟

- لماذا الهروب ؟
- لماذا مصر ؟
- نبوات العهد القديم .
- تفسير آباء الكنيسة الأولين .

obeikandl.com

obeikandl.com

- لم يكن الهروب ضعفاً أو سلبية فى التصرف ولكنه حكمة فى التدبير.. لكى يعلمنا الرب الابتعاد عن الصراع أو المواجهة أو المقاومة، أو مواجهة الشر بالشر «لا تقاوموا الشر» (مت ٥ : ٢٩).

- لقد حول الرب مشقة الهروب إلى بركة لأرض مصر، فكان له عمل ورسالة فى أرض مصر، ولم تكن مجرد رحلة هروب ولكنها كانت أيضاً رحلة كرازة وعمل .. ورحلة تطهير لأرض مصر من الأوثان والأصنام ..

- لقد ظن هيرودس الملك أن المسيح جاء لكى ينافسه فى مملكته الأرضية ، فترك له السيد المسيح المملكة بكل ما فيها، وخرج بعيداً عنها .. كأنه يخبره أنه ليس منافساً له .. وأن مملكته ليست من هذا العالم .. ترك له الشئ الذى ظن أنه قد جاء لكى ينافسه فيه .. لأن رسالة المسيح لم تكن المنافسة فى حكم ملك أرضى.

- السيد المسيح لم تكن خدمته قد بدأت بعد، وكان ما زال أمامه سنوات عديدة لكى يبدأ خدمته .. فكان الوقت ما زال أمامه .. هذا الوقت كان كفيلاً بحل المشكلة .. لأن بعض المشاكل يمكن حلها بمجرد الانتظار لبعض الوقت .. وأحياناً تغيير الظروف قد يحل بعض المشكلات .

- بهذا الهروب حول الرب مؤامرات وحيل ودهاء هيرودس الملك إلى فشل ذريع، فقد قام هيرودس فى إحكام شديد وفى عنف شديد بقتل كل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون، وظن بذلك أنه قد قتل ذلك المنافس لعرشه، ولكن مهما تآمر الأشرار فإن الحفظ الإلهى أقوى وأعظم ..

- الهروب أنواع : هناك هروب إيجابى مطلوب ومرغوب مثل الهروب من مصادر الشر أو من المواجهة التى فى غير وقتها، أو الهروب من وجه الشر والغضب، والهروب من العثرات أو الشهوات أو المؤثرات الخاطئة، أو من المجد الباطل، أو من سفك الدماء بدون مبرر .. وأفضل أنواع الهروب هو الهروب من الناس للارتباط باللّه .. هو الهروب إلى اللّه.. وعلى العكس تماماً هناك هروب سلبى غير مطلوب مثل الهروب من وجه الرب، والهروب من المسئولية أو من الخدمة أو من الالتزامات والواجبات والمهام المطلوبة .. أو الهروب من مشكلة أو أزمة. وهناك الهروب من الذات أو من الواقع.

لماذا مصر ؟

من الأسباب التى جعلت الرب يختار أرض مصر بالذات دون غيرها من البلاد، ما يلى :

- لقد بارك الله شعب مصر ، وشهد الكتاب المقدس لمصر مرات عديدة :

ـ «كجنة الرب كأرض مصر» (تكوين ١٣ : ١٠) .

ـ «مبارك شعبى مصر » (أش ١٩ : ٢٥) .

- تحقيق النبوات وتحقيق المواعيد الإلهية :

ـ لم يكن مجئ الرب لأرض مصر أمراً عشوائياً ، بل كان المجئ لمصر أمراً إلهياً، تحدث عنه الأنبياء قبل حدوثه بمئات السنين :

ـ «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها» (إشعياء ١٩ : ١) .

ـ «فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر « (إشعياء ١٩ : ١٩) .

ـ «من مصر دعوت ابنى « (هوشع ١١ : ١) .

- مصر كانت الملاذ والملجأ لكثير من الآباء والأنبياء فى العهد القديم :

ـ جاء إليها إبراهيم أبو الأباء، فلما حدث جوع فى الأرض جاء ابرام (إبراهيم) إلى مصر (تكوين ١٢ : ١٠) .

ـ وجاء إليها يعقوب وعاش بها حوالى ١٧ سنة ، قال يعقوب لبنيه : إنه يوجد قمح فى مصر انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت (تكوين ٤٢ : ٢) .

ـ فجاء إسرائيل (يعقوب) إلى مصر (مزمور ١٠٥ : ٢٣) .

ـ وسكن إسرائيل (يعقوب) فى أرض مصر (تكوين ٤٧: ٢٧) .

ـ وجاء إليها يوسف وعاش فيها ٩٣ سنة، وكان الله معه، وأنقذه من جميع ضيقاته وأعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون ملك مصر فأقامه مدبراً على مصر وعلى كل بيته (أعمال الرسل ٧ : ١٠) .

ـ وجاء إليها بنو يعقوب كعائلة وبعد ٤٣٠ سنة خرجوا منها شعباً ..

ـ وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنط الأطباء إسرائيل (تكوين ٥٠ :٢)

ـ ثم مات يوسف ... فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر (تكوين ٥٠ : ٢٦) .

ـ وولد فيها موسى وهارون ويشوع .

ـ وتهذب موسى بكل حكمة المصريين (أعمال الرسل ٧ : ٢٢) .

ـ وصاهر سليمان فرعون ملك مصر (ملوك أول ٣ : ١) .

obeikandi.com

- ولم تكن مصر غريبة على شعب بنى إسرائيل ، فقد عاشوا فيها كشعب ونموا وتعلموا وتهذبوا بكل حكمة المصريين، وأخذوا من حضارتهم ومدنيتهم، وكان بمصر جالية يهودية قدرها الفيلسوف اليهودى فيلون السكندرى (٢٠ ق.م – ٥٠م) سنة ٤٠م بأنهم كانوا حوالى مليون يهودى، وكانوا يتمركزون فى مصر القديمة وبالقرب من هليوبوليس وفى الإسكندرية وبعض بلاد الوجه القبلى .. كان هذا فى وقت يبلغ فيه تعداد سكان مصر حوالى سبعة ونصف مليون نسمة بحسب تقدير يوسيفوس فلافيوس (٣٧ – ١٠٠م) فى عهد الإمبراطور فسباسيان (٦٩ – ٧٩م) .
- جاء الرب إلى مصر لكي يطهرها من الوثنية، فارتجفت أوثان مصر أمام وجهه، وقد دخلت العائلة المقدسة إلى بلاد كانت تعتبر معاقل للوثنية، وكانت الأوثان تتساقط وتتحطم، فشعر المصريون أن فى وسطهم قوة أقوى من الآلهة الوثنية وامتلئوا خوفاً، وكما قالت نبوة أشعياء يذوب قلب مصر داخلها .

- كانت مصر مركز إشعاع حضارى وثقافى ، والكتاب المقدس يتحدث عن حكمة المصريين (أع ٧ : ٢٢) ، وكان لمصر إنجازات على المستوى الحضارى والثقافى والإنسانى، وكان بها مكتبة الإسكندرية، وتمت بها الترجمة السبعينية Septuagint وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان بها هيكل أونياس (الهيكل البديل لهيكل أورشليم). Temple of Onias وقد تم انشائه في القرن الثاني قبل الميلاد (حوالي سنة ١٧٠ ق.م) في ليونتوبوليس Leontopolis (تل اليهودية حاليًا) واستمرت الشعائر اليهودية بهذا الهيكل لحوالي قرنين من الزمان ..

- جاء الرب يعطى مصر عربون المصالحة، فكانت زيارته لمسة بركة لأرض مصر، كان مجئ الرب إلى مصر .. لكى تأتى مصر إليه .. فكانت بمثابة عودة اللّه إلى مصر ... وعودة مصر إلى اللّه .. فإذا كان فى العهد القديم الضربات العشر ضد فرعون وشعبه، فأن الرب يضرب مصر ضارباً فشافياً (أش ١٩ : ٢٢).. وهكذا فى العهد الجديد يأتى الرب شافياً ومصالحاً لمصر ويمنح البركة لشعب مصر، مبارك شعبى مصر.

- فى مصر كان الفصح :

ـ أول فصح كان فى مصر عندما عبر الملاك المهلك.....

ـ وآخر فصح صنعه الرب فى بيت مار مرقس كاروز مصر....

ـ والفصح رمز للمسيح " فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا» (كورنثوس الاولى ٥ : ٧) .

- وفى مصر كانت أحداث : الفصح / الخروج / عبور البحر / الوصايا العشر / ...
ـ وحل مجد الرب على جبل سيناء (خروج ٣٤ : ١٦) .
- «مصر حيث صلب ربنا أيضاً» (رؤ ١١ : ٨) .
ـ المسيح صلب بالرمز خلال الفصح بحسب الطقس الموسوى وهذا تم فى مصر ..
ـ كما أن كنيسة المسيح (جسد المسيح) فى مصر حملت الصليب وسارت وراء مسيحها (رأس الكنيسة) .. ففى مصر صلب المسيح بالرمز ..
- « مبارك شعبى مصر» (أش ١٩ : ٢٥) .
اللّه يدعو مصر "شعبى" .. معناها أن شعب مصر مبارك .. وأن شعب مصر هو "شعب اللّه" وهذه أول إشارة عن شعب آخر للرب غير اليهود .. لأن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم شعب اللّه المختار ..
- وبمجئ الرب إلى مصر صار شعب مصر أول شعب من الأمم يدعوه الرب إلى الإيمان، وصارت مصر المباركة مركز إشعاع إيمانى وروحى ولاهوتى، وأصبح لكنيسة مصر دور قيادى وريادى فى العالم كله .
- ومصر ذكرت فى الكتاب المقدس ٥٨٤ مرة (٥٦٠ مرة فى العهد القديم، و٢٤ مرة فى العهد الجديد)، ومشتقات اسم مصر، مثل: مصرى، مصريون، مصرية، مصريات ... وردت ١٢٠ مرة، وبهذا يكون اسم مصر ومشتقاته ورد ٧٠٤ مرة ، وذكرت مصر فى ٣٣ سفراً فى الكتاب المقدس، وأكثر سفر ذكرت فيه مصر هو سفر الخروج ١٦٨ مرة ، إلى جانب اسم أكثر من ٣٠ مدينة مصرية ذكرت فى الكتاب المقدس، منها: أرض جاسان، سيناء، أسوان، أون، برية ايتام، إيليم، برية سين، بعل صفون، برية فاران، برية شور، تحفنحيس، جبل حوريب، حانيس، رعمسيس، فيثوم، دفقة، ألوش، رفيديم، سكوت، صوعن، فتروس، فيبستة، مارة، نو، نو آمون، نوف. فم الحيروث، مجدل، مديان، بيت شمس.. وغيرها .

وللمزيد عن سبب اختيار الرب لمصر بالذات لتكون هى جهة هروبه ، يمكن الرجوع إلى :

- لماذا مصر؟ لماذا جاء السيد المسيح إلى أرض مصر؟، القس يسطس فوزى، وجيه سامى، ط١، ٢٠٠٠م .
- الأنبا بنيامين، الأعياد السيدية ـ الجزء الخامس (أعياد المجد)، ٢٠٠٢م، عيد دخول السيد المسيح أرض مصر، لماذا مصر بالذات ؟ ، ص ٤٥ ـ ٥٢ .
- مصر فى الكتاب المقدس، القمص بيشوى عبد المسيح، مكتبة الرجاء، القاهرة، ٢٠٠٠م .

نبوات العهد القديم :

نبوة أشعياء النبى قبل الميلاد بحوالى سبعمائة سنة :

«وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا .... فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ خَمْسُ مُدُنٍ تَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ كَنْعَانَ وَتَحْلِفُ لِرَبِّ الْجُنُودِ، يُقَالُ لإِحْدَاهَا «مَدِينَةُ الشَّمْسِ» فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُمِهَا.»

(إش ١٩ : ١، ١٨ ، ١٩)

- السحابة السريعة أو الخفيفة ترمز إلى العذراء مريم ..

فالعذراء مريم تشبه السحابة فى نقاوتها وطهارتها وفى خفتها وسموها ورفعتها ..

وتشبيه العذراء بالسحابة: يرمز لارتفاعها من جهة، ومن جهة أخرى ترمز إلى الرب الذي يجيء على السحاب (مت ١٦: ٢٧) .

ويقول مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث :

" قيل في مجيء السيد المسيح إلى مصر أنه يأتي على سحابة" (أش ١٩ : ١) .

ما هو رمز هذه السحابة ؟

جاء السيد المسيح إلى مصر على كتف العذراء مريم التي لقبها الكتاب المقدس إنها سحابة.

السحابة هي العذراء مريم ، فلماذا شبهها أشعياء النبي بالسحابة ؟

السحابة هي ماء وبالحرارة والرياح خفّ ، وارتفع إلى فوق إلى السماء .

ترك وضعه الأرضي أو موضعه تحت الأرض .

وبالحرارة ارتفع بعيداً عن الثقل الأرضي وعن الجاذبية الأرضية .

وظل يرتفع ويرتفع حتى وصل السماء وأصبح يطل على الأرض من هناك .

وأن نزل إنما لكي يروي الأرض ويعطيها حياة .

هكذا العذراء مريم الحارة بالروح ، ارتفعت إلى فوق إلى السماء كسحابة .

أيضاً الرب في مجيئه الثاني سيأتي على سحابة وفي مجيئه إلى مصر جاء أيضاً على سحابة).

- عمود للرب عند تخمها ترمز لكرازة القديس مار مرقس بالإسكندرية ..
- مذبح للرب فى وسط أرض مصر :

ليس مذبح وثنى أو أممى لأنه مذبح للرب ..

وليس مذبح يهودى لأن اليهود مذبحهم فى اورشليم فقط ..

هو مذبح العهد الجديد .. مذبح الكنيسة المسيحية فى وسط أرض مصر ..

obeikandl.com

- خمس مدن تتكلم بلغة كنعان ترمز للحواس الخمسة عندما تتكلم بلغة سماوية ..
- لغة كنعان أى اللغة الروحية التى تستطيع أن تتكلم بها مع الله الإله الحقيقى وليس مع الأصنام ..

نبوة هوشع النبى قبل الميلاد بحوالى ثمانمائة سنة :

«وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هو ١١ : ١) .

«لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». (متى ٢ : ١٥) .

هذه الآية قالها هوشع عن خروج شعب إسرائيل من مصر لكن هنا طريقة الوحى الإلهى في إعادة إتمام النبوات، وإعادة فهم الآيات النبوية وتطبيقها على السيد المسيح، وأن النبوات عن المسيح كان بعضها ظاهرًا وبعضها مخبأ في داخل العهد القديم.

وهنا يوضح متي البشير أن المسيح يمثل شعب بنى إسرائيل ويمثل الجنس البشري كله في الهروب من الشر، فالرب يحفظ أبناؤه من الشر في أي مكان، ولو وجدوا في مكان صعب فرض عليهم ضيقه وقتية، الرب يتمهل قليلا ثم يدعوهم من هذا المكان عندما يتدخل لينهي الضيقة، وهذا ما حدث مع شعب بنى إسرائيل وأيضاً ما حدث مع المسيح ممثل الجنس البشري..

ولهذا رأى الإنجيلي متى في القول الإلهي «من مصر دعوت ابني» نبوة واضحة وصريحة عن هروب السيد المسيح إلى مصر والتي كانت في ذلك الزمن من أعظم مراكز الأمم، ليعلن قبوله لكل الشعوب الأممية، مقدسًا أرض مصر، فما كان قبلاً مركزًا للوثنية صار موضع راحة لمخلص العالم. ولا يزال الرب يدخل مصرنا الداخلية ليحولها من وثنيتها إلى مَقدس له فيها يقيم مذبحه الإلهي (أش ١٩ : ١٩) "فتتعرف عليه وتقدم له ذبيحة وتقدمة حب"(إش ١٩: ٢١) لتسمع صوته الإلهي: «مبارك شعبي مصر» (إش ١٩: ٢٥) .

نبوة داود النبى قبل الميلاد بحوالى ألف سنة :

يتنبأ داود النبى فى مزمور (٨٠) دعاء الكرمة : «كرمة من مصر نقلت .. يا إله الجنود ارجعن اطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة والغرس الذى غرسته يمينك والأبن الذي اخترته لنفسك» (٨٠ : ٨، ١٤، ١٥) .

كان الهروب إلى مصر تحقيقاً لهذه النبوة .. عن الابن الكرمة الحقيقية .. الكرمة التى نقلت إلى مصر .. ثم من مصر نقلت ..

هروب يعقوب وهروب داود إشارة لهروب السيد المسيح :

في العهد القديم كان هروب يعقوب من أمام وجه عيسو (تكوين ٣٥ : ١)، وهروب داود من أمام وجه شاول الملك (صموئيل أول ١٩ ـ ٢١) رمزاً وإشارة ونبوة لهروب السيد المسيح من أمام وجه هيرودس الملك ..

يوسف العهد القديم ويوسف العهد الجديد :

وردت تفاصيل حياة يوسف الصديق فى أول أسفار العهد القديم (التكوين) ليرمز للرجل البار يوسف النجار ، وقد وردت الإشارة إليه فى أول أسفار العهد الجديد (الإنجيل للقديس متى) .. يوسف الصديق نزل إلى مصر وصار هو الأمين على خزائن مصر ليحفظ القمح فى مخازنها لكى تنجو مصر من المجاعة الشديدة .. ويوسف النجار نزل إلى مصر ومعه الخبز الحى .. حبة الحنطة .. خبز الحياة .. يسوع المسيح ليطهر أرض مصر من الوثنية التى هى أشبه بالمجاعة الروحية .. حيث تركوا الخبز الحى والماء الحى وأخذوا يحفرون لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماءاً ..

وقد أعطى فرعون مصر ليوسف الصديق لقب (صفنات فعنيج) (تك ٤١ : ٤٥) وقد تعددت تفسيرات هذا الأسم ومنها : مخلص العالم، واهب الغذاء للعالم، قوت الحياة، طعام الحياة، مُساند الحياة، كاشف الأسرار.. وهذه المعاني ترمز وتشير للسيد المسيح نفسه مخلص العالم .. وواهب الحياة لكل العالم ..

تفسير آباء الكنيسة الأولين :

كتب آباء الكنيسة الأولين تأملات وتفاسير روحية وكتابية عن رحلة العائلة المقدسة لأرض مصر، منها :

القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٤٧ – ٤٠٧م) يقول :

«هلمّوا إلى برّيّة مصر لتروها أفضل من كل فردوس، ربوات من الطغمات الملائكيّة في شكل بشري، وشعوب من الشهداء، وجماعات من البتوليّين... لقد تهدّم طغيان الشيطان، وأشرق فيها ملكوت المسيح ببهائه» .

ويقول أيضاً :

((إذ كانت مصر وبابل هما أكثر بلاد العالم ملتهبتين بنار الشرّ، أعلن الرب منذ البداية أنه يرغب في إصلاح المنطقتين لحسابه، ليأتي بهما إلى ما هو أفضل، وفي نفس الوقت لكى تتمثل بهما كل الأرض، فتطلب عطاياه، لهذا أرسل للواحدة (بابل) المجوس، والأخرى (مصر) ذهب إليها بنفسه مع أمه.))

كما يقول أيضاً:

((تأمّل أمرًا عجيبًا: فلسطين كانت تنتظره، مصر استقبلته وأنقذته من الغدر))

القديس أمبروسيوس (٣٣٧ – ٣٩٧م) :

«لنرجع بعيدًا عن هيرودس صاحب السلطان الزمني إلى حين، فنأتي إلى المسكن الأبدي، إلى مدينتنا السمائيّة» .

القديس أثناسيوس الرسولى البطريرك الـ ٢٠ (٣٢٨ – ٣٧٣م) :

((إن عـدم تقـوى المصريين لم يتوقف إلا حينما جاء رب الكون محمولاً على السـحاب، جاء إلى مصر بالجسد، وبهذا أنهى الوثنية، وأعاد البشرية إلى أبيه))

البابا ثاؤفيلس بطريرك الإسكندرية البطريرك الـ ٢٣ (٣٨٥ – ٤١٢م) :

((صعد الرب إلى مصر محمولاً على سحابة عفيفة التى هى العذراء الطاهرة، واستأصل عبـادة الأوثان مـن أرض مصر وبذر فيها البذور الطاهرة، التى هـى للبر، وترك بصماته على أرض مصر إلى اليوم))

البابا كيرلس الكبير عمود الدين البطريرك الـ ٢٤ (٤١٢ – ٤٤٤ م) :

(حيـث كثـرت الخطية فهناك تكثـر النعمة، فـالأرض التى كانت مليئـة بالأوثان (أرض مصـر) صـارت مليئة بالقديسـين والكنائس والأديرة والعـذارى الذين يعملون من حياة الفضيلة، ووصلوا إلى أن ينشروا الإيمان إلى بلاد الهند وبلاد سبأ وأثيوبيا) .

وللمزيـد عن تفسـير وتأمـلات الآباء الأولين عن رحلـة العائلة المقدسـة في أرض مصر ، يمكـن الرجـوع لكتـاب : من تفسـير وتأملات الآبـاء الأولـين، الإنجيل للقديـس متى ، للقمص تادرس يعقوب ملطي ، تفسير الإصحاح الثاني.

(شكل ٦) أيقونة قبطية لرحلة العائلة المقدسة